ثلاثيّة الرّاء في ديوان الخنساء: الدّهر، القدر، القبر

د. وفاء سعيد شهوان
جامعة البلقاء التطبيقية/ كلية عمان الجامعية

الملخص

تناولت الدراسة ثلاثة محاور (الدهر والقدر والقبر) وبحثت في دلالاتها عند الخنساء في الجاهلية وبعد الإسلام. وسميتُ البحث ثلاثية الراء في ديوان الخنساء، واعتمدت في الدراسة على المنهج النفسي، فطرحتُ المفهوم وناقشته بالسؤال والجواب ودعمته بالشواهد الشعرية التي تثبت دلالة المحور، كما وظّفت التناص في ثناياها وتوصلتْ الدراسة إلى نتائج أبرزها: أن الدهر ألهم الخنساء الحكمة وأن إيمانها بالقضاء والقدر جعلها صحابية جليلة، وأن القبر رسّخ إيمانها وهذّب نفسها ونظم أفكارها. وأتبعته بخاتمة سجلت فيها نتائج البحث العامة والخاصة.

الكلمات المفتاحية: الخنساء، الدهر، القدر، القبر، صخر.

Abstract

The study dealt with Tri "R" cycles,i.e. (age, fate and grave).

The researcher studied the meanings of these themes during Al- Khansa'a's life dark age i.e. (Al-jaahiliyyah), and hers after embracing Islam.

The researcher relied on the psychological application in presenting the above said concepts and presenting them through the question and answer methodology, which supported by the poetic evidences that prove the significance of the study, which helped the researcher to come out with a number of general and specific results related to the research themes .

As far as the contextalization is concerned, the researcher concluded that the wisdom of Al-khansa'a was inspired by the concept of era, whereas her belief in Fatalism has made her a great companion, however, Al-khansa'a's ideas, its shape and setting were infleunced by her certainty on the grave .

المخطط الهيكلي

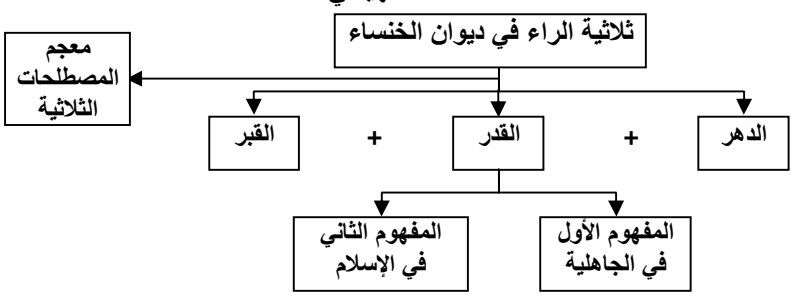

المقدمة:

إن العمل في ديوان الخنساء موضوع صعب؛ ذلك لضرورة البحث فيه عن جديد؛ يعطي الخنساء وديوانها ملمحاً مشرقاً يتعدى غرض الرثاء الذي أصبح ثوبها وتراثها ويتجاوزه؛ لينظر إلى الخنساء صاحبة ثورة فكرية فنية جديدة في الحكمة، التي صبّت فيها وجدانها وهمومها ومعاناتها الذاتية باستسلام وصمت، بعيداً عن روح الجاهلية وملامحها وفي وسمها بالصحابية الجليلة، بعد أن استوعبت كل المواقف التي مرت بها، لا سيما استشهاد أبنائها الذي رفعها إلى مصاف الصحابيات.

وقد حاولت تبيان ما أرادته الخنساء من قول في ديوانها بخصوص الدهر والقدر والقبر؛ إذ كانت هذه الثلاثية تمثل مفاصل رئيسة في حزنها بدايةً.

وأما الطريقة المتبعة في الدراسة والتحليل فقد كنت أعرض المحور/ المادة المدروسة وأحللها بالسؤال والحوار؛ لأصل في النهاية إلى دلالة المفهوم والحكم، وأدلل عليها بنص شعري مقتبس يأتي بعده التحليلات التي توضح علاقة الشاهد المقتبس بالفكرة المطروحة، أو المحور، وهذه الطريقة تدخل في مجال البراهين والدلائل. ولم يكن من طرق الدراسة اتباع المنهج الإحصائي، وإن ما عرضته في ثنايا البحث من أرقام كانت من قبيل التقدير الوارد في الديوان.

لقد أثبتت الدراسة أن ديوان الخنساء فيه ملامح مشرقة وهو فاعل ومؤثر، وإن كانت البداية فيه جاءت في التمرّد على (الدهر والقدر والقبر) ولكن في نهاية الثلاثية جاءت لتخرج معاني الخنساء من التمرد على الدهر وعدم الرضا بالقضاء وتقبّل القدر واستساغة القبر إلى معانٍ جديدة فيها خلود النفس إلى الراحة المتناهية والمتعلقة بالله.

وتتألف الدراسة من ثلاثة محاور مباشرة (الدهر والقدر والقبر)، ثم خاتمة سُجّل فيها أهم النتائج الخاصة والعامة. هذه خلاصة ما وصلت إليه، وأرجو أن يكون للدراسة فائدة تذكر في مجال العلم.

ثلاثية الراء في ديوان الخنساء (الدهر، القدر، القبر)

شغلت الخنساء في أدبنا مساحة كبيرة، كانت فيها موضع اهتمام الباحثين والدارسين، ولم تكن هذه المساحة الكبيرة إلا لما قدمته من فنيّة الرثاء الفريدة، ولا شك في أن الخنساء أعظم شواعر العرب على الإطلاق[1] في موضوع الرثاء تحديداً، حتى قيل عنها: أشعر شعراء الرثاء الخنساء[2]؛ إذ لم يدرس في شعرها إلا الرثاء تقريباً.

وليس المراد هنا الوقوف عند غرض الرثاء؛ فقد تجاوزه البحث وإن بقي المظلة التي يستظل بها الباحث. وعليه، فقد تناول البحث شيئاً جديداً؛ إذ سلّط الضوء على ثلاثة محاور دارت حولها الخنساء في ديوانها وما خرجت عنها، وهي: الدهر، والقدر، والقبر، وسمّيتها ثلاثية الرثاء في ديوان الخنساء.

لقد بنت الشاعرة مفاهيمها وأفكارها ومفرداتها ولغتها (شكلاً ومضموناً) وسيرتها وتاريخها ومنطقها وحكمتها ورؤيتها للأشياء، وتقديرها لجميع أمور حياتها على تلك الثلاثية، فوقفتُ عندها.

وقد وجدت في شعرها ألواناً غير مدروسة، وتلمست زوايا غير مقروءة. على الرغم من الدراسات التي كتبت

حول ديوانها ورثائها، لكن سأحرص في هذا البحث على تقديم قراءة عميقة ومتأنية لاستجلاء معاني الدهر والقدر والقبر في حياة الشاعرة وشعرها. علّها تقدم شيئاً جديداً بالفعل.

ومن خلال قراءتي المتعددة للديوان شدّتني الخنساء كثيراً، حتى أرّقتني، فرسمت صورتها امرأة كهلة مظهراً ومخبراً هدّها حزنها، وتصورتها من خلال شعرها تكلمني أراها وأسمعها، فتشدني عن دهرها وقدرها وقبر أخويها. حتى عاشت في داخلي طوال مدة الدراسة. وهذه محاور ثلاثة جديدة في شعر الشاعرة حملتني لإنصاف الخنساء وديوانها عن دخول نفق الرثاء والبقاء فيه فقط.

الراء الأولى: الدهر

لقد سطّرت لخنساء بقصيدها تاريخاً عريقاً بواقعية مطلقة؛ إذ تكاثرت عليها المصائب ولم توفّق في أول حياتها بزوج صالح، وحين حصل، مات عنها زوجها وكان قد مات والدها قبله ثم معاوية الأخ الأكبر والشقيق لها ثم مات صخر الأخ غير الشقيق لكنه الأميز، رجل الفضائل والكرم، فكانت وفاته الحَدث الجليل والمصيبة الكبرى والفاجعة العظمى، فتوقف الزمن والفرح بموته، وأصبح الحزن عندها عقيدة، ولم تزل تبكيه حتى عميت[3].

عمّرت الخنساء طويلاً، حتى أدركت الإسلام فأسلمت، وحسن إسلامها، وحظيت بشرف لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان يعلم أنها فُجعت بأخويها وبكتهما بكاء لم تبكه قبلها امرأة من العرب، وقد طلب إليها أن تنشده الشعر، ففعلت، وكان كلما توقفت عن الإنشاء أومأ لها بيده وهو يقول: "هيه، خُنّاس" إلى أن وصلت على حالة من البكاء المرير الذي اختلط بكلماتها فصارت مبهمة[4]. وصاحبها الحزن والألم إلى أن أصبح حاجة ملحّة بالنسبة لها وهو وضع غير مألوف على الصعيد الإنساني عامة، لكنه حقيقة عند الخنساء حتى جاءت فجيعتها بأربعة شبان استشهدوا في القادسية*، فكانت العبرة التي انحدرت من عينيها شعوراً نبيلاً صدر عنها دون عويل وندب بسبب إسلامها ويقينها بقضاء الله وقدره، إن كل ما تقدمها من معطيات الأحداث تجعل الخنساء تأخذ موقفاً من الدهر. فكيف نظرت إليه؟ وما دلالته عندها؟ هذا ما ستبينه الصفحات القادمة.

لقد تمثّل الدهر للخنساء ما تقدم، مصدراً للكوارث والنوائب في كل لحظة فقد:

دَهَتْني الحادثاتُ بهِ فأمْسَتْ عليّ هُمومُها تغدو وتَسري [5]

وشربت كؤوساً من الألم وتقلّدت شرفاً جميع المصائب، وقد جاءت كلمة (الدهر) في ديوانها قرابة أربعين مرة وزيادة، وفي معظمها كانت تشكو الدهر وتمتعض منه، وتدعو عليه. فتقول:

فقَدتُ الدّهرَ، كيفَ أكَلَّ رُكني ... لأقْوامٍ مَوَدّتُهُمْ قَليلُ[6]

وفجّعني ريب هذا الزمان ... به والمصائب قد تفجع[7]

فما لي وللدّهر ذي النائبات ... أكلُّ الوزُوع بنا تُوزع

هي تعاني اليقين بمصائب الدهر، لا محالة، فما خرجت من ألم ووجع وأنين إلا وجاءها فجع وقرع وقرح جديد.

يا عين مالك لا تبكين تسكابا ... إذْ رابَ دهرٌ وكان الدّهرُ ريَّابا[8]

من كثرة توالي صروف الدهر عليها، فهي لا تأمن شره وغدره، وقد أخذ منها كل مَنْ حولها، فلو كانت الصورة بناءً متماسكاً أصله في الأرض وسقفه بلغ عنان السماء، كان لا بد له من الانهيار حتى الاندثار، فكيف بنفس بشرية مفعمة بالأحاسيس والعواطف ماذا تراه سيحصل لها؟

في الحقيقة إن ما مر بالخنساء وحصل معها من عصف بالريح لم يحصل -والله اعلم- على مدى التاريخ مع أي امرأة أخرى، ولن تطيق.

تعرفني الدّهرُ نهْسَاً وحزّا ... وأوجعني الدّهرُ قرعاً وغُمزا[9]

لقد كان الرثاء على ذويها لا سيما صخر منطلقاً لوضع مفاهيمها الثلاثية التي ندرسها، وليس المراد هنا الوقوف على غرض الرثاء في ديوان الخنساء -كما تقدم ذكره- لكنه المظلة التي لا محالة من الاستظلال تحتها، ومنها: ما وصلنا إليه من موقفها من الدهر ونظرتها إليه، فهو الذي:

وأفْنَـــى رجالـــــي فبادوا فَغُـودر قلبـي بهـم مُسـتفزا[10]
قد راعنـي الـدهر فبؤسـاً لـه بفـارس الفرسـان والخنشـليل[11]

لقد ذاقت مرارة الدهر، فقد حمّلها فوق طاقتها، وكأنها تحمّلت مصاب أمة بأكملها، وليس لها من مخـرج إلا البكـاء والعويل.

أرى الدهر أفنى معشري وبني أبي فأمسيت عبرى لا يجف بكائيا*[12]

لقد استهلك الدهر طاقتها النفسية، وأنهكتها الأحزان فخرّت قواها، ولم يبق منها – من الفجيعات – عطاء. إنها تكره الدهر بحجم كراهة الموت، فالدهر لم يسعدها أبداً. (لقد تداخلت أزمنة الوعي الذاتية عند الشاعرة بالأزمنة الموضوعية، فكان من الطبيعي استحضارها للمخزون الفكري، لتدخل في حوار دائم مع الموت والدّهر، فالأزمنة اخترقت صفوفها عند الخنساء، وارتطم الليل بالنهار، فهي بين الماضي والحاضر في انقلاب نفسي وروحي ومادي، فهي عاجزةٌ عن ممارسة الحياة فاقدة للأمل في الحاضر)[13].

لقد كانت في بعض الأحيان أصمت من قبر، صامتة باكية باهتة مصدومة تأكل في نفسها، حتى رق عظمها وهلك صدرها، وهاض جناحها، وبالحدث الجليل جفّ دمع عينيها (وأبكي لصخر طوال الدهر وانتحبي)[14]. وما زالت تبكي مشاركة للدهر الذي تسبب في حالتها:

ألا يـا عـين ويحـكِ أسـعديني لريـب الـدهر والـزمن العضـوض[15]
ولا تبقـي دموعـاً بعـد صـخر فقـد كلفـت دهـرك أن تفيضـي
ففيضـي بالـدموع علـى كـريم رمتـه الحـادثات ولا تـغيضي

الدهر أسىً، ودموع وأنّات، وحوادث وشكوك. لقد أفقدها وعيها، وأفقدها آمالها وصادر منها شبابها وجمالها وحياتها، ولعل في معظم ما قرأت عبر تاريخ الأدب العربي كله لم أجد امرأة بلغ حالها ما بلغته الخنساء من كثرة نوائب الدهر، هي امرأة لا تُكرر بقدرتها الفذّة على مقاومة الدهر والعيش في حياة عسيرة جداً في جميع جوانبها ومع شخوصها، لا سيما بعد فقدها ذويها كلهم.

يا لوعـةً بانـت تبـاريحها تَقْدَحُ في قلبي شجا كالشّرار[16] من كان ذي
أبدى لـي الجفـوة من بعده رحـم أو جوار

لقد عاركت الحياة حتى تمخض عنها معاني مهمة في الحياة قدّمتها على شكل أبيات في الحكمة وصبّت فيها ثمار تجاربها مع الدهر.

وبتعدد القراءات المتأنية في ديوان الخنساء وجدتها مبدعة لصياغتها معاني الحكمة التي يصل صداها إلى العقل الواعي والقلب الحيّ "كانت الخنساء وليلى الأخيلية في أشعارهما متقدمتين لأكثر الفحول، وربّ امرأة تتقدم في صناعةٍ، وإن قلّ ذلك" [17] إنها الخنساء وصنعتُها الحكمة، وهو ما نريد الوصول إليه بعيداً عن الرثاء، تقول:

فقلت لما رأيتُ الدهرَ لـيس لـه معاتـبٌ وحـده يُسـدي ونيـار[18]

فالقول الفصل للدهر، وهي معاني تحمل الحكمة ولها دلالات دينية وملامح عقديّة لكنها بمفهوم جاهلي، ذاك المفهوم الذي ينتهي بالزوال والفناء وبموت المرء؛ فبعد عمر طويل عاشته الخنساء تكابد في الزمن والزمن يكابد ويعارك فيها خرجت بأرقى حقائق الحياة وصاغتها في قوالب من الحكمة؛ لأنها أيقنت بقوة الدهر، قوة إلهية على غير هدىً في نفس الشاعرة بدايةً، ولعلها في تلك الفترة كانت في جاهلية ولم تدخل الإسلام بعد. فهي تقول:

أرى الدهر يرمي ما تطيش سهامه وليس لمن قد غاله الدهر مرجع[19]

فمن غاله الدهر كيف به أن يرجع؟؟ **(وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)**[20] لقد كانت دلالة الدهر عند الشاعر الجاهلي عامة مخيفة، إنها حالة اغتيال، سهام تطيش وموت دون سبب. **فـــــــ:**

كلّ إمرئٍ بأثافي الدهر مرجوم وكل بيت طويل السمك مهدوم[21]

وهذه عقيدة لا محالة ونهاية محتمة فالكل إلى زوال، ويأتي على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، **فـــــــ:**

لا بد من ميتة في صرفها عبرٌ والدهر في صرفه حولٌ وأطوارُ[22]

إنها مؤمنة بحالات وتقلبات الدهر فتلك الأيام نداولها بين الناس، وهي تقدم حقيقة صالحة لما تقدم وتأخر من الزمان، لا يؤمن جانبه. وتؤكدها بقولها:

وابكي أخاك لدهر صار مؤتلفاً والدهر، ويحك، ذو فَجْع وتجليفِ[23]

وما زالت تقدم الحكمة التي علّمها إياها الدهر، فتقول:

لا خير في عيش وإن سرّنا كل امرئ والدهر لا تبقى له باقية[24]
سُرّ به أهله سوف يُرى يوماً على ناحية
إن الزمان وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنباً واستؤصل الرأسُ[25]
أبقى لنا كلّ مجهولٍ وفجعنا بالحالمين فهام وأرماسُ
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

حتى سئل الجرير؛ من أشعر الناس؟ قال، انا لولا الخنساء. قيل فبم فضلتك؟ فأشاد بالأبيات السابقة.

لقد بلغت مرتبةً في الحكمة، وقد صدقت، لقد أفنى الدهر معشرها، وبراها كالعظم المهيض، وقد خبرت الناس وعرفت معادنهم، وأحست قسوة الأيام عليها، حتى لم يبق منها إلا الحزن ومرارة التفجيع ووجع الأنين:

بكت عيني وحُقَّ لها العويل وهاض جناجي الحدث الجليل[26]

وبالمزيد من القراءة في ديوانها نصل معها إلى ملمح ديني متضمن معنى الحكمة:

أبكي فتى الحيّ نالته منيتهُ وكلّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدار[27]

فهو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. وهو هنا بين الوقت والمقدار. إنه

إيمان مطلق بالقضاء والقدر، فلكل أجلٍ كتاب لكنه مع الأسف غير عقديّ بعقيدة الإسلام، بالرغم من عمق معناه فالشاعرة ما زالت في الجاهلية، ولا أستطيع الجزم إن كانت قد قالته في الإسلام.

إنها على يقين تام بأن للمرء نهاية، وأن المسبب هو الدهر، وأن كل نفس إلى وقت ومقدار، وحتى من قال قافيةً مثل حدّ السنان تبقى ويذهب من قالها، فمن الباقي إذن في نظر الخنساء؟ إنها تقول:

لا يكذِبَن فــإن المــوت مختــرمٌ كل البرية غير الواحد الباقي[28]

(هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ)[29]، إنها حقيقة البقاء لله، أيعقل أن تكون قالته في الإسلام؟ ما زالت في حيرة، وليس من قرينة ترشدني.

وما زلت الخنساء في ثلاثيتها تتكلم كثيراً عن الدهر مقدمةً الحكمة، وقد تبوّأ المساحة الأكبر في الديوان، فتقول:

لا تسمن الدهر في أرضٍ وإن رتعت يومــاً بأوجــد فإنمـــــا هـــــي تخنـــان وتســـجار[30]

منـــــــــي يـــــــوم فـــــــارقني صخـــرٌ وللدهـــر إحـــلاء وإمرار

وهذه مفارقات الدهر، وثنائية الحياة وحقيقتها ما بين الحلو المحبوب والمرّ المكروه، وبقيــت مؤمنــة بنوائبــه، وتخاف حدّها وتخشى عثرة كانت من الدهر فقد أوجعها قرعاً وغمزاً، والدهر لا تبقى له باقية، وما يُبقى الزمان علــى شيء ولا يذر، إنها تقلبات الدهر وأيامه، **(لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ)**[31] .

وتصل بنا الخنساء رويداً رويداً بعد تلك المفارقات إلى نهاية لا بد منها حتماً وهو (القدر) المكتوب.

وبعد أن ظلّ الدهر حالة من الذعر والخوف وبقيَ في نظرها مصدر الألم وعدم الاســتقرار لا تطمــئن إليــه، والدهر عندها يمثل القدر وما يطوي، والموت بما يحمل من سهام تصيب الأخوة فيتساقطون والدهر هو المــوت الــذي اختطف صخراً[32]. إن هذا إلا قول البشر، دون يقين بقضاء الله وقدره.

وحين دخولها الإسلام، تغيّر البناء الفكري لها وتمثلته عقيدتها فألبست الدهر معاني إسلامية واضحة وإن كانت قليلة، منها:

مضى وسنمضي على إثـــــره كـــذاك لكـل فتـــىً مصرع[33]

وقالت:

فشأنُ المنايا إذ أصابكَ ريبُهــا لتغدو على الفتيان بعدكَ أو تسري[34]

الراء الثانية: القدر

لم يحظ بمفرداته بتلك المساحة التي حظي بها الدهر في الديوان. قد كان هناك إيمان بالقدر، لكنه بثقافة الجاهلية إنها سهام المنايا في مفرداتها العقدية الدالة ضمناً على الإيمان بالقضاء والقدر ولكن بلغة جاهلية، فما زالت لغة الســهام هي السائدة؛ إذ لا مرد لقضائها. فقد جاءت ساعة القدر:

لو كان يُفــدى لكــان الأهــل كلهــم ومــا أثمــرّ مــن مــال وأوراق[35]

لكن سهام المنايا مــن تصــبه بهــا لا يَشْــفِه رفــقُ ذي طيــب ولا راق

والسؤال ما مفهوم القدر، وما دلالته في نفس الشاعرة؟ هذا ما ستبينه السطور القادمة. وقد جاء هــذا المفهــوم **علــى شقين.**

الأول: إيمانها بالقدر، ولكن بمفهوم الجاهلية موت وبِلــى وفناء بلا عودة، وكان ذلك في معظم حياتها.

والثاني: إيمانها بالقضاء والقدر بمفهوم الإسلام موت، وفراق، ولقاء في الآخرة، وإيمان بيوم القيامة والحساب، وكــان

ذلك في آخر زمانها تقريباً. على غير الدهر والقبر في تفرعه، ذلك لأن الدهر أيام تعيشها والقبر مكان تشاهده، وتعدّها الشاعرة من ملموسات الأمور وأما بعد إسلامها تطور مفهومهما (القبر والدهر)، أيضاً في نفسها إلا أن القدر غيبيّ والإيمان به كان مسألة مركزية ومفصلية في حياة الخنساء.

المفهوم الأول للقدر:

الخنساء امرأة قوية بلا منازع، دار عليها الزمان وسقاها كؤوساً من الألم وتجرعته بمرارة الفجيعة والتحسّر، نوائب وصروف دهر، وجروح تتلوها كوارث، ومصاب تلو المصاب، فكل فاجعة تنزل بها تكاد أن تقضي على الخنساء في الجاهلية لولا قوتها وقدرتها على التحمل، وتقضي عليها الخنساء في الإسلام بقوة إيمانها وعمق عقيدتها. وقد تبين لي فيما قرأت وطالعت أن الخنساء أسلمت سنة 630م[36]، كما ورد في مقدمة ديوانها.

ويرجّح المؤرخون أن مولدها كان نحو سنة 575م[37]. وتوفيت سنة 645م، وتوفي صخر سنة (613م) تقريباً[38]، وعليه، فقد عاشت بعده عمراً، وكان معظم شعرها في رثاء صخر في الجاهلية.

في تلك الاثناء كان مفهوم القدر غائباً ومغيباً عنها، فليس هو من مفرداتها؛ لأنه ليس من مفاهيمها أصلاً بمعناه العميق في الإسلام كان مجهولاً، فكانت ترى نهاية الحياة بموت صاحبها (لا سيما بمن يعتقدون بعدم وجود الحساب بعد الموت في يوم القيامة، وأن كل إنسان خلق إلى أجل لا حياة بعده ولا ردّ له؛ فأغلب الذين لا يؤمنون باليوم الآخر يواجهون بعد الموت فاجعة ومأساة كبرى ونهاية مؤلمة غاية الألم؛ لأن الفقيد ذهب الى غير رجعة[39]. **(وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ)**[(*)].

وهذا حال الخنساء وهذه عقيدتها في ربط دائم بين الثلاثية، فقد جمعت بين الدهر والقدر والقبر وجعلت النهاية الفناء، إنها تقول:

إن يكُ هذا الدهر أودى بهِ وصار مساحاً لمجال القطار
فكل حيٍّ صائر للبلى وكل حبل مبرة لانـدثار[40]

وهي: **تبكي لصخر وقد راب الزمان به إذ غاله حدث الأيام والقدر[41]**

وقد خصصت هنا القدر والدهر، ويرجح أنها ما زالت في جاهليتها، فالموت حقيقة؛ إذ لم يكن عاراً، فالحياة لا تدوم، وهذه أمور تدركها الخنساء، إلا أنها مع ذلك كانت عازفة عن قبول القدر، وتسخط للواقع يقيناً منها بعدم عدالة القدر، فتقول:

فلو أن المنون تعدل فينا فتنال الشريف والمشروفا[42]

وتلّح وتطلب صخراً من القدر:

فأقسمُ لو بقيتَ لكنت فينا عديداً لا يكاثر بالعديد[43]

وكأنها ترفض القدر ولا تستسيغه، كيف يأخذ صخراً؟ أيها الموت لو تجافيت عن صخر مثقلة لومها على الدهر وصروفه وعلى القدر الذي يأتي ولا ينادي.

يا صخر كنت لنا عيشاً نعيش به لو أمهلتك مُلمات المقادير[44]

إلى أن تتمنى لو أنها ماتت قبل تلقيها خبر موته، وذلك بالطبع يعود لضعف إيمانها بالقضاء والقدر؛ لأنها ما زالت في الجاهلية زمناً وفكرا.

ومالي لا أبكي على من لو أنه تقدّم يومي قبله لبكا لي[45]
ألا ليت أمي لم تلدني سوية وكنت تراباً بين أيدي القوابل[46]

وخرّت على الأرض السماء فطبقــت وماتت جميعاً كل حاف وناعـــل
غداة غداً ناع لصخـــــــــــر فراعني وأورثنـــي حزنـــاً طويل البـــلابل

لقد كانت تجهل **(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا)**[47] إنها أوامر القادر، ووقْع القدر، دلالة الموت والميـت ونهايـة الحياة، ولكنها دلالات مرفوضة عند الخنساء لا تقبلها وتتمنى أنها كانت مع الموتى قبل سماع نعي صخر، وهذه أفكـار جاهلية عامة تمت إلى الوثنية بصلات وثيقة، وبالفعل، فقد قرأت الديوان مراراً وتكراراً فما وجدت بيتاً واحداً فيه يـدل على إيمان الخنساء بوجود حياة بعد الموت للحساب ثواباً وعقاباً، فهي تؤمن بأن كل إنسان خلق إلى أجل لا حياة بعـده ولا راد له.

إذن، كان مفهوم القدر مبهماً في مضمونه الإيماني وإن كان حاضراً في حقيقته، لكن قبوله كان غصـباً وقهـراً بالنسبة للخنساء، ولغيرها – أيضاً – وهذا هو حال الجاهلية يدركون معنى الموت لكن لا يؤمنون بالقدر إيمـان وعـي وقضاء. فبليت بموت صخر فألبسها ثوب الحزن أبداً عليه وعلى نفسها؛ فبموته ماتت معاني الإباء والوجـود والسـيادة والحياة كلها، وبموته ماتت الخنساء.

وإن نفســي بعـد صخـــر بالــردى معترفـــة[48]

ما زالت لا تستكين، وتراود نفسها وتلوم الدهر ذا الحوادثِ طارقات وتلوم الدهر كيف يأخذ صخراً؟

يا صـــــخر مــن لحــوادث الــدهر أم من يُسهّل راكــب الوعــر[49]
يا صخر ما كنت في قوم أسرُّ بهم إلا وأنّك بيــن القوم مشتهر[50]

وليس المقام هنا لرثاء صخر، لكنه السبيل لتأكيد فكرة القدر التي ندرسها ويتكرر ذكره وخيط الندب والحسـرة والعويل عليه لا ينقطع بالنداء والنهي والاستفهام، وبشتى أنواع الأساليب البلاغية، رافضة الخنساء فكرة موته، وكأنهـا تريد خلوده خاصة لمن كان مثله[51]. وعليه، فإن مفهومها للقدر في الجاهلية بات واضحاً الآن، يأخذ بلا رجعـة. مـوت أبدي ورحيلٌ إلى الأبد، فناء وبلاء.

رهــينُ بلــىً وكــل فتـــىً ســيبْلَى فأذري الدمعَ بالسّــكبِ المجــود[52]

وهذا بيتُ بيّن اعتقادها – صراحةً- بأن أخاها إلى الفناء، لقد جاءت كلمة القدر والمقادير أقل كلمات الثلاثية كمـا تقـدم قياساً مع الدهر وقد يعود ذلك لعُمر إسلامها ولعله يقدر بـ (15) سنة، فلو عاشت (89) سنة تكون قد أسلمت وعمرها (74) سنة، وعليه، فمن المرجح أن معظم رثائها لأخيها صخر كان في الجاهلية، وأنّ ما قالته في القدر صراحة كان فـي الإسـلام. والمدة الزمنية لإسلامها قليلة قياساً لعمرها، لكنها كبيرة في استيعابها للقدر والإيمان به.

المفهوم الثاني للقدر:

لقد تفهمت الخنساء معناه بعد إسلامها وأدركت بأن القدر ترجمة للقضاء. فالقدر: علـم الله بمـا تكـون عليـه المخلوقات في المستقبل، والقضاء: إيجاد الله للأشياء حسب علمه وإرادته، وحقيقة الإيمان بالقدر أن تؤمن أنه ما من شيء فـي الكون من إحياء وإماته-وغيره-إلا بتقدير من الله ومشيئته، فلا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لـم يكن، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه[53] ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير.

لقد أسلمت الخنساء بعد موت صخر بـ (17) عاماً، على تقدير أن صخرا مات في سنة (613هـ) فـي (10) قبل الهجرة[54]. هذا لو أخذنا بتاريخ إسلامها كما تقدم عام (360هـ)، فمن المرجح أن تكون قـد رثـت صـخراً فـي إسلامها أيضاً وبنفس الروح التي عاشتها في الجاهلية، ولكنها هنا حملت مفاهيم عقيدية جديدة وملامح دينيـة واضـحة ومفردات قرآنية وأدركت ما تقدم في معنى القدر.

فلا غرابة أن يمتلك الإيمان قلبها وتتغلغل العقيدة الإسلامية نفسها، فتبقى راثية لصخر ولكن بيقـين واستسـلام

مطلق لمشيئة الله عز وجل، إنها مفارقة كاملة في شخصية الخنساء لا سيما النفسية منها، وأجمل ما يتجلى ذلك ويتضح في قصيدتها (سقى الله أرضاً)[55]. وكلها معانٍ إيمانيةٍ خالصةٍ؛ إذ تدعو الله فيها لأخويها:

لا يُبْعِدَنّ اللَّــهُ صَخْراً وعَهْـدَهُ ولا يُبْعِـدَنّ اللَّــهُ رَبّـــــــي مُعاوِيَا
ولا يُبْعِـدَنّ اللَّــهُ صَخْراً، فإنّـــهُ أخُــو الجُــودِ يَبْنِي للفَعالِ العَوالِيَـــــا
سابكيهما واللهِ ما حنَّ والهٌ وما أثْبَـتَ اللَّهُ الجِبـــالَ الرّواسِيَـــــا
سقى اللهُ ارضاً اصبحتْ قدْ حوتهما منَ المُسْتَـــهِلاّتِ السّحــابَ الغَواديـــا

ثم تقول:

أيا صخرُ هل يُغنى البكاءُ أو الأسى على ميت بالقـــــبر أصبــح ثاويـــــاً[56]

لقد أيقنت الخنساء بأن القبر هو المثوى الأخير، وأن لا فائدة من البكاء والعويل والأسى، وأيقنت بإيمان بقــدرة الله ووجوده وبقضائه وقدره.

وإن كنتُ أشعر برواسب الجاهلية في دعائها، دون مسٍّ بعقيدتها، حاشا وكلا فليس من السهل تغيير العقيــدة، أو تعديل السلوك فيها، هذا ما حصل مع الخنساء (إننا لا نكاد نلمسُ فارقاً يذكر بين شعرها الجاهلي وشعرها في عهد الإســلام، لا بل معظم الأحيان لا نستطيع أن نميز بين ما قالته في الجاهلية وما قالته في الإسلام من شعر إلا بالحدس والتخمــين الناجم عن استعمال بعض الألفاظ)[57].

وبتوالي القراءات والتروي والفهم وصلت معها إلى استيعاب عميق لموضوع القدر في نفسها وهي تقول لصخر:

قد عشت فينا ولا ترمى بفاحشة حتى توفاك رب الناس محمودا[58]

لقد شاء الله أن جعل الخنساء على الصراط المستقيم، وأتمَّ نعمته عليها بعظمة إيمانها بالقضاء والقدر، فقد قــدّر فهدى، ووجدتُ أبيات أخرى كثيرة تنطوي على الإيمان بالله والصبر الجميل والاحتساب في صمت، إذ تقول:

إن الحوادث لا يبقى لنائبها إلا الإله، وراسي الأصل معلوم[59]
رحــمــة الله والسلام عليه وسقــى قــــبره الربيع خريــفــا[60]

وتقول بنبرة الحزن: **يا صخُر، قد كنت بدراً يستضاء به فقد ثوى، يوم مت المجد والجـــود**[61]
فاليوم أمسيت لا يرجوك ذو أمــل لما هلكت، وحوض الموت مـــــــورود

لقد تملك الإسلام قلبها يقيناً دون شك، وفتح الله عليها أبواب كل شيء وأيقنت بكل ما جاء به الإسلام وأمر بــه الله عز وجل، حتى تغلغل كثيراً من مفاهيمه في شعرها، إذ نتلمس النسق القرآني في أبياتها، ومنها:

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها[62]
هــممت بنفسي كل الهــمـــوم فأولى لنفسسي أولى لها
فخــر الشوامخ مــن قــتــلــه وزلزلت الأرض زلزالهــا[63]

وإن كنت ما زلت أشعر – أيضاً – ببقايا الجاهلية في نفسها ولغتها، لماذا يا خنساء؟ وبالفعل، فقد صدقتِ حــين قلتِ:

وقافية مثل حد الســـنا ن تبقى ويذهب من قالها

لأن الدارس يتقلب بقافيتها، حتى يصل إلى ما تريدين، وقالت في موضع آخر من الديوان، متأثرة بالقرآن:

حِلْف الندى وعقيد المجد أيّ فتىً كالليث في الحر بلا نكس ولا وانِ[64]

لقد زاد شعر الخنساء قوة بعقيدتها، واستحضارها لمعانٍ إسلامية عقيدية، ليس من السهل اعتناقها، والإيمان المطلق بها، إلا أن يكون المرء صادقاً حقاً فيها فهي تقول لصخر داعية له ومؤمنة بجنة الفردوس:

اذهب حَريباً جزاك الله جنته عنا وخُلّدت في الفردوس تخليدا[65]

والفردوس أعلى مراتب الجنة والجزاء، **(الذينَ يَرِثونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فيهَا خالِدونَ)**[66] وهذا دليل واضح على نضج العقيدة عندها، فهي على يقين ومعرفة وإيمان بجنة الفردوس حتى تدعو الله أن يخلد صخراً فيها، كما أن هذا الدعاء يدل على الحب الأخوي قطعاً، ولكن السؤال: من أين لصخرٍ أن يكون في الجنة؟ فقد قال الله تعالى: **(وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ)**[67]، لقد افتقر صخر هنا إلى الإيمان.. **(أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ)**[68]**...** والله أعلم(*).

لقد قطعت الخنساء الشك باليقين، وآمنت بحقيقة الموت، وتركت عنها رواسب الوثنية ومعتقداتها، وأيقنت بأن البقاء لله وحده. لقد غيّر الإسلام حالها ونقلها من الباطل إلى الحق، **فقالت:**

فلا شيء يبقى غير وجه مليكنا ولستُ أرى شيئاً على الدهر خالدا[69]

(سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)[70]، لذلك تقبّلت الخنساء خبر فجيعتها بأبنائها الأربعة بصبر واحتساب وبالتسليم لله والرضا بقضائه. فقد أتى أمر الله فلا تستعجلوه، وقد صبرت الخنساء صبراً جميلاً لأنها على يقين بأن الخير يكمن بالصبر، ولعل عمق الإيمان عندها هو الذي منعها من رثاء أبنائها وقد عرفت مكانهم، (وهل ترثى من جزاؤه عند ربه جنة عرضها السماوات والأرض؟!! إن أمثال هؤلاء الرجال الشهداء لا تقال فيهم المراثي، بل يتبادل فيهم الحمد والثناء للنعمة الكبرى التي ظفروا بها، نعمة الشهادة)[71]. هنا أسبغ الله عليها نعمهُ ظاهرة وباطنة، **(وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ)** [72]. لقد قالت الخنساء خطبتها المشهورة التي تحمل معاني إسلامية لا تخفى على أحد قبيل معركة القادسية، التي تدل على أنه لم يعد في نفسها من رواسب الجاهلية شيء، وأن الإسلام قد وصل إلى شغاف قلبها، فتمكن منها، وملك عليها حياتها، وآمنت بقوله تعالى: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)**[73]**.**

لم تبك الخنساء أبناءها، بالرغم من استشهادهم جميعاً في القادسية مرة واحدة بعد إسلامها بفترة وجيزة لا تتجاوز الثماني سنوات؛ إذ وقعت المعركة حوالي سنة(638م) تقريباً، **(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا)**[74].

إن المدة الزمنية وجيزة بين استشهاد أبنائها وبين إسلامها، وهذا يدل على أنها تشربت العقيدة بسرعة وآمنت -كما تقدم- بالقدر، وكانت على يقين بمكانة أبنائها، ومصيرهم فالتزمت الصمت ولم تقل سوى(الحمد لله الذي شرفني بقتلهم)، **(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)**[75]، لقد منّ الله عليها بفجيعتها بأبنائها إذ جعلها من ذوي الحظ العظيم؛ لكنها كانت ترى أن المصير مجهول لأخويها؛ فقد ماتوا على غير هدى، مما سبب لها القلق والخوف عليهم من النار، فما زالت تذكرهم:

إني ذَكرت نَدَى صخرٍ فهيجني ذِكر الحبيب على سُقمٍ وأحزانِ[76]

فأبكي أخاك لأيتام أضّر بهم رَيب الزمان وَكُلّ الضَّرِّ يغشاني

إنها حرارة وثورة تذكيهما الذكرى، وقد امتزج بعاطفة الخنساء لين الأنوثة. بشدة الرجولة[77]. ومن المحتمل ان تكون الخنساء قد رثت أبناءها فعلاً، لكن هذا الرثاء لم يصل إلينا، فضاع بين الرواة ولم يُحفظ. ولكن ما زالت في النفس حاجة إلى تبرير عدم رثائها أبناءها، فوق إيمانها بالقضاء والقدر. فما عساه يكون؟ ربما قد تكون خارت قواها بحزنها على أخويها فاكتفت بحزنها عليهما (فقد استنفر الدمع مآقيها وإن رثائها قد استهلك عواطفها؛ إذ لم نجد بيت شعر واحد نظمته في رثاء أبنائها وهي شاعرة أصبحت مضرب الأمثال في الرثاء)[78]، وأرى أنه يكفيها ما استنفذه الدهر منها، الذي دق عظمها وهاض منها جناحها، فالصدر كاظم على غصّةٍ، والفؤاد فيها يذوب على أبيها وزوجها ومن بعدهما أخويها ثم أولادها جميعاً، حتى نكأ الحزن في فؤادها فقاحاً.

لعل من الاحتمالات المنطقية – أيضاً - أن عدم رثاء الخنساء لأبنائها هو غرض الرثاء نفسه الذي قصرت نفسها عليه (فقد آثرت الرثاء وقصرت فنّها عليه، بسبب تلك المصائب التي أصابتها، وجذبت شاعريتها إلى غرض واحد، وهو أشعر شعرها)[79].

والرثاء بمجمله لا بد من أن يحمل في معانيه الندب والنحيب والعويل؛ لأنه تعبير مباشر عما يشعر به الإنسان

وانعكاساته واضحة، وكانت الخنساء (لا تجد إلا دماراً وهلاكاً وموتاً زؤاماً، وقد ملأت الدنيا بكـاءً ولوعـة وانتحابـاً، ودموعاً وعويلاً، وحفرت أشعارها حفراً في قلب كل موتور حزين)[80].

(إن العامل الإنساني الذي يكمن وراء البكاء والرثاء، هو الذي يطبع هذا الفن بطابعه، فيقال عنه إنه فنٌ انساني، يرتفع فوق المصلحة الذاتية)[81]. لكن أي مصلحة تبتغيها الخنساء؟ (كانت الخنساء حريصة على أن تـرد لصـخر مـن عطائها ما يوازي ذلك العطاء وفاءً ورثاءً وإخلاصاً. وقد استطاعت فعلاً أن تقدم ما أرادت، وتترك لها فـي صـفحات التاريخ من صور الوفاء والإخلاص ما جعله من الصور الفريدة)[82]، فكان في تقدير الخنساء أن البكاء لا بد وأنه السبيل للفخر والخلود.. وبالفعل فقد خلّدت صخراً وخلّدت نفسها.

فهي تقول باكية:

بكيتك في نساء معولات وكنتُ أحقَّ مَنْ أبدى العويلا[83]

بكت عيني وحُقَّ لها العـويلُ وهاض جناحي الحدث الجليل[84]

إني سأبكي أبا حَسّانَ نادبةً ما زلتُ في كل امساءٍ واشراق[85]

إنها عادات اجتماعية مقيتة، عاشتها الخنساء بكل حذافيرها وكانت متنفسها ومنها: البكاء.

فابكي ولا تسأمي نُوحاً مُسَلَّبة على أخيك رفيع الهم والباع[86]

فكان النواح والنحيب والعويل والبقاء على ثوب واحد حزناً على الفقيد من الأعراف الجاهلية. وهي **تقول:**

فنساؤنـا يندبـن نو حا بعـد هاديـة النوائح[87]

يندبـن فَقْدَ أخـي الندي والخيرِ والشيـم الصوالح

فالآن نحن ومن سوانا مثلُ أسنـان القوارح

لقد بينت الخنساء برثائها مجتمعاً جاهلياً مفصلاً بعاداته وتقاليده كلها، حتى تصل إلى عادة الثأر، وقد قالت فيها:

شدُّوا المآزرَ حتى يُستدَفَّ بكم وشمّروا إنها أيام تشمار88

لا نومَ حتى تقودوا الخيل عابسةً ينبـذن طَرْحاً بمـهرات وأمهار

أو ترحضوا عنكم عاراً تجللكم رحض العوارك حيضاً عنـد أطـهار

وما يزال في الديوان الكثير من الأبيات التي تحمل معاني العزاء وتوضح مراسمه وما يترتب عليه من عـادات منبوذة ومقيتة، منها: أن النساء (كانوا في الجاهلية إذا بالغوا في الجزع حلقن رؤوسهن، ولطمن خدودهن بالنعال)[89].

فقومي يا صفيةُ في نساءٍ بِحَرِّ الشمس لا يبغِيْنَ ظِلاَّ90

يُشَقِّقن الجيوبَ وكـلَّ وجهٍ طفيفٌ أن تُصَلـي له وقَـلّا

يا لها من عادات الجاهلية بالفعل، أيعقل أن فعلت الخنساء كل هذا في ذلك الزمان؟ ربما تكون قد فعلـت ذلـك حتـى قالت:

فأقسمتُ لا ينفك دمعي وعولتي عليك بحزن ما دعا الله داعيـة91

بـدا لـي أنـي قد رُزئت بفـتية بقيـة قـوم أورثوني المباكيا92

فلمـا سمعت النائحات ينُحنَـه تعزّيتُ واستيقنـت أن لا أخاليا

هذا ما فعلته وقالته في ديوانها حتى (يشعر من يقرأه أنه في مأتم يسمع فيه عويل النائحات وندب النادبات. هـو ديوان امرأة أصيبت في الصميم، وفقدت من تحب تبكي ولا تمل، وإذا الدمع نار في الهشـيم، وإذا اللوعـة أبـداً فـي ازدياد)[93]. ويكاد يجمع مؤرخو الأدب على أن جميع من قالوا الرثاء بعد الخنساء قد تأثروا بها لما في شعرها من عمق في العاطفة وصدق في التفجّع[94].

لقد شغل موضوع الرثاء نفسها، وهو ليس في هذا الموضع موطن الدراسة إنما تجبرنا شمولية الغـرض فـي

ديوانها إلى التطرق إليه، خاصة، وأن كل ما تناولته الدراسة لا يطرح إلا من خلال غرض الرثاء وليس من أجله، وفي الحقيقة أن هذا الأمر مثّل لي عقبة في التناول؛ إذ كلما حاولت الخروج من غرض الرثاء في الديوان لأتلمس أشياء جديدة، شدني الديوان إليه وعُدت إلى غرض الرثاء نفسه.

إذ لا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من استهلالها بالبكاء فعلاً، أو باستدرار الدمع والندب والنوح تعبيراً عن الحزن وتبياناً لعاطفة الحب الأخوي الذي جمع بين الأخ والأخت، لا بل إن عاطفة الحزن والبكاء لتصل أحياناً إلى حدّ التفجع والتوجع والأسف، والتلهف والتولّه إزاء هذه المصيبة، مصيبة التفجّع التي لا تعادلها مصيبة[95].

دفعت بك الجليل وأنت حيٌ فمن ذا يدفع الخطب الجليلا[96]

إذا قَبُحَ البكاءُ على قتيل رأيت بكاءَك الحسنَ الجميلا

لعله الرثاء بأبعاده ومنطق الجاهلية هو السبب في عدم رثائها أبناءها؛ إذ كان لا بد من تجاوز عادات الجاهلية، فلا رثاء عند الخنساء يخلو من تقاليد الجاهلية، ولكنها آمنت وأدركت بأنها قد حرّمها الإسلام. وقد استوعبت قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: "اثنان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة في الميت"[97] رواه مسلم، وقوله - أيضاً – عليه الصلاة والسلام: "وليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية"[98] وهي هنا وقّافة عند حدود الله؛ فعزوفها عن رثاء أبنائها هو التزام ديني صرف، (ويظل الفاصل بين رثائياتها الجاهلية الحارة، وبين صمتها إزاء استشهاد أبنائها رهناً بتحول العقلية النسائية الإسلامية من فظاظة التعبير الجاهلي عن الأحزان، إلى ما أصاب لغة التعبير هذه من تهذيب، دون أن يعني هذا تحولاً، أو رصد فواصل بين عاطفة الأخوة والأمومة لدى الخنساء)[99] إنها امرأة صبر.

وإن بقيت ترثي أخويها، حتى قالت: ولكني وجدت الصبر خيراً من النعلين والرأس الحليق[100]. إذن، رثاء بروح جديدة، فيه معان للصبر والإيمان:

وما يبكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي[101]

وتقول: فإن تصبر النفس تلق السرور وإن تجزع النفس أشقى لها[102]

استسلام للقضاء ويقين بالقدر، وأمر النفس على الصبر وترويضها على تقبل المصاب. وسواءٌ أكان الحزن على أخويها أم أبنائها، فقد تغيرت كل المفاهيم عندها، وتقبّلت الواقع بإرادة إيمانية قوية، وروحانيات راسخة متعلقة بالله. قائلين: تعزّي عن تذكره، فالصبر ..!! وليس لأمر الله مردود، فإن نهاية الأحداث أقدارٌ، وأن مردّنا إلى الله.

لا بد من ميتة في صرفها عبرٌ والدهر في صرفه حول وأطوار[103]

وقد راب الخنساء الدهر، إن الدهر ضرّار، بأن أفنى معشرها وبني أبيها وأهلها، فكانت القبور مصيرهم، إلا أنها تناديهم، وتخص صخراً بالنداء، يا صخر من لطراد الخيل، ويا صخر من لحوادث الدهر، ويا صخر أنت فتى مجد ومكرمة... وبين الأقوام مشتهر.

وما زالت الخنساء على حالها تنادي وتقول وتمدح... وفي الحقيقة إن تعداد مناقب صخر ليس موضوعنا، لكنه يقودنا إلى المحور الثالث في رائية الخنساء التي أدرسها، وهو القبر آخر معاقل الراء في ديوانها، بعد أن آمنت بـ **(أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ)**[104]

الراء الثالثة: القبر

ورد ذكره في حدود عشرين مرة وقد يزيد، وجاء مؤكداً لظاهرة الترادف في مفرداته: الضريح، واللحد، والحفيرة، والتراب. وبالدلالة الصفائح، والضريحة، والنعش، والترب، والرمس، الألواح. وأياً كانت المفردات ما نبحث عنه صدى هذه المترادفات، فما دلالة القبر عند الخنساء وقد ابتلع صخراً في الجاهلية؟ وكيف أصبح صداه بعد إسلامها؟ هذا ما ستجيب عنه الصفحات القادمة.

لقد اختلفت دلالة القبر عند الخنساء باختلاف عقيدتها، والطبيعة البشرية بجملة تاريخها وعمومها لا تحب القبر، فكيف بالخنساء التي تبكي في الظلام حزينة وتدعو أخاها لا يجيب معفراً[105]. لقد عفّر التراب خد صخر، إنها ترى صخراً أرفع قدراً ومكانة من القبر، وليس هو من يكون في التراب؛ فكيف يا خناس؟ ومن آياته أن خلقكم من تراب. إذ:

يحثي التراب على محاسنه وعلى غضارة وجهه النضر[106]

لقد (آمنت الخنساء بحقيقة الموت، وأقرّت بسلطانه، وكل نفس إلى وقت ومقدار، وستمضي قوافل البشرية إلى القبور يتبعون من سبقهم إليها).[107] وهذه حفرة صخر وقبره، إنها تبكي:

على رجل كريم الخيم أضحى ببطن حفيرة صخب صداها[108]

إنها لغة التحقير شكلاً ومضموناً، وذلك لرفضها الضمني مادياً ومعنوياً للقبر إنه:

رهينة رَمْسٍ قد تجر ذيولها عليه سوافي الرامسات البوارح[109]

قال ابن امك ثاوٍ بالضريح وقد سووا عليه بألـــــــــواح وأحجار[110]

هذه أفكار جاهلية كانت الخنساء تعيشها قبل إسلامها، ودلالة تمرّدية على القبر، مع استنكار له قلباً وقالباً، **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ)**[111] ولكنها بعيدة عن هذه المعاني فتقول:

يا بدر ماذا يواري القبر من كرم قد مضى يوم مت المجد والجود[112]

فالقبر عندها لا يبتلع وهو فاغر فمه إلا المحمودة سيرته، وذا الخصال الحميدة وأصحاب النفوس الطاهرة.

يا صخرُ ماذا يواري القبرُ من كرمٍ ومن خلائق عفَّاتٍ مطـــــــاهير[113]

ولا يأخذ إلا خير الناس: **عينيّ جودا بدمع غير منزورٍ وأعولا إن صخـــرا خيـــرُ مقبور**[114]

وما بين البكاء والعويل، تُكرر السؤال رافضة وجود جثمانه في القبر، وهي في هذا البيت جمعت ثلاثية الراء:

ماذا يـــواري القبر تحـــــــت ترابـــــه من الخير يا بؤس الحوادث والدهر[115]

إنني أقرأ في الديوان واشعر بأبيات شعرية تحمل مضامين خفية تطويها الخنساء تفوق الحزن بمراحل.

إنه إحساس عميق عندها بأسى فقده، وحسرة في نفسها:

قد كان حصناً شديد الركن ممتنعاً ليثاً إذا نزل الفتيان أو ركبوا[116]

وخسارة فادحة أن يكون: **أبو حسان كان ثمال قومي فأصبح ثاوياً بين اللحود**[117]

إننا ونحن نقرأ كلماتها في أبياتها... نشعر وأن حتى الألفاظ عندها لا تستوعب الكم الهائل من حزنها، طاقـات وطاقات نفسية حزينة في نفس الخنساء لا تنقطع، بل هي في تجدد مستمر، دفقات شعورية من التفجع لا تنتهـي، إنهـا مصائب تمثلت في مصاب أخير. فاجتمع عليها الدهر والقدر والقبر.

لعمري لقد أوهيت قلبي عـن العـزا وطأطأت رأســي والفــؤاد كئيــب[118]

لقــد قُصــمت منـــي قنـــاة صـــليبةٌ ويُقصم عـــود النبـــع وهـــو صـــليب

وهي تبكي وما تزال تحمل أحزان أمة، ولكن:

أيا صخر هل يُغني البكاء أو الأسى على ميت بالقبر أصبح ثاوياً[119]

لا يجدي البكاء أو العويل، لقد أنهى القبر المسألة، وأخذ صخراً إلى غير رجعة، وأن الله وحده يبعث من في القبور.

أقولُ صخرٌ لدى الأجداثِ مرموم، وكيف أكتُمُه والدمع مسجوم[120]

وخلاصة الأمر أن الخنساء كانت تشعر بخسارة أخويها في القبر، فمن كان مثلهما ومثل صخر لا يمـوت. إن العلاقة بينها وبين القبر تنافرية متجذرة، وإن تمسكه على هون أهون من أن تدسه في التراب، فيا لهفي علـى صـخر.

وحين جاء الحديث عن النعش: **وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه: يا لهف نفسي على صخر**[121]

إن هذا البيت من أصعب الرائيات التي قرات، بيت يحمل مشهداً حياً لمراسم الموت، ومراحل العزاء والسير في الدفن، ومشاعر ألم النُقطت بكلمة.

أنها حالة من الجزع والتفجّع قد يصعب وصفها. فبتسارع سير نعش صخر كان حجم تسارع خطو الخنساء ، علهّا تدركه، إنها في تجاذب مع النعش رافضةً لحقيقته ومتمسكة به.

هذه كلمات تبث في المتلقي مشاركته الحدث، فهو يشاهد ويعيش حالة الأخت المصابة بفقيدها وهي تسرع لتلحق بنعش أخيها لاهثةً، علها تدركه إلا أنه قد سبقها، طار عقل الخنساء وجن جنونها على رجل كريم الخيم أضحى ببطن حفيرة صخب صداها[122] .

كانت تريد الخنساء أن تتلمس شيئاً من رياح صخر، لقد فات الأوان فاستُفزت فدعت، فقالت:

ألا ثكلـــت أم الذيـــن مشوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر؟؟[123]

هنا فقدت صوابها الخنساء، فلا الزمان ولا المكان ولا الناس بعينها ولا حساب لهم عندها، لا بد وأنها في تلك الأثناء قد انفصلت عن عالمها ومن حولها من شدة حزنها فدخلت في غيبوبة، لا تدرك ما تقول فدعت على كل من حمل النعش وعلى أمهاتهم. وصرخت صرخة بعويل ونحيب رافضة القبر

فيا لهفتي عليه ولهف أمي: أيصبح في الضريح وفيه يمسي[124]

أيعقل؟ أن يبقى صخرٌ في الضريح من الصباح إلى المساء وكل يوم؟ نعم، هكذا هو القبر.

إنها تندب وتنوح، ولا تستكين وتقول:

على إخوانهـم لقتلـت نفسي[125] **ولـولا كثرة الباكيـن حولي**

أفـارق مهجتـي ويشـق رمسـي فـلا والله لا أنسـاك حتـى

لقد رفضت الخنساء القبر، لم تستوعبه لا شكلاً ولا مضموناً، وفقيرة دلالته حتى صداه في نفسها، لا تتصوره بأي شكل من الأشكال، فكيف به وقد التهم صخر.

لقد كررت الخنساء كثيراً هذا التعبير (يا لهف نفسي على صخر)، وفي تكرارها بحثت (عن الأصوات التي تنتج لها مدّ صوتها بما يتوافق والحالة الحزينة التي وجدت بها، وكأن اختيارها لأصواتها إنما جاءت دندناتها على وتر حزين، بل سمفونية حزينة بدايتها الصوت الشعري)[126]. تقولها بحجم تفجعها على من فقدت، وهي ترنيمة عويل، بملمح جاهلي.

ويا لهف نفسي على صخر وقد لهفت نفسي إذا التف أبطال بأبطال[127]

ويا لهف نفسي على صخر وقد فرغت خيل لخيـل وأقـران لأقران[128]

يا لهف نفسي على صخر وقد لهِفَتْ وهل يَرُدَّنَّ خَيْـل القلـب تلهيفي[129]

يا لهف نفسي على صخر إذا ركبت خيـلٌ لخيـل كأمثال اليعافير[130]

ولا يخفى على القارئ/ الملتقي ظاهرة التكرار الواضحة في ديوان الخنساء، وما تكرار الكلام في باب الرثاء إلا (لمكان الفجيعة، وشدة الحرقة التي يجدها المتفجع)[131] وما تبغيه هنا إلا لتلح على فكرة واحدة، وهي: خسارة موت صخر.

إذا نظرنا إلى اعتبارات (التصوير في العمل الأدبي بوصفه وحده، وإلى موقف الشاعر في تجربته، وفي هذه الحالات تكون طرق التصوير الشعرية وسائل جمال فني مصدره أصالة الكاتب في تجربته وتعمقه في تصويرها، ومظهره في الصور النابعة من داخل العمل الأدبي، والمتآزرة معاً على إبراز الفكرة في ثوبها الشعري)[132] .

وهذا ما فعلته الخنساء، إنها تريد تأكيد فكرة تخليد صخر فالقافية باقية والقائل هالك، لا سيما اسمه؛ فتكرار

الأسماء دالٌ قوي على اهتمام الشاعر بهذا الاسم (إن الشاعر عندما يلّح على اسم ما، فإنه يجعله النقطة المحورية والأساسية التي تتمحور حولها القصيدة، فتكراره بكثافة يدل على أن الشاعر يريد التمسك بشيء لا أمل به اطلاقاً)[133] وقد مات صخر.

فأصبح اليومَ في رَمْسٍ لدى جَدثٍ وسَط الضريح عليه الترب مركوم[134]

وهي في انتظار الذي يأتي ولا يأتي، إنها نهاية مؤلمة لنفس بشرية تشعر وتحس، لكنها ميتة دون قبر.

يا ابن الشريد وخير قيس كلها خلفتني في حسرة وتبلد[135]

إن تناول الخنساء للقبر في ديوانها كان متركزاً على أنه ثوى صخر ومن خلال ما أثبتته الخنساء حول هذه الفكرة تناولت كثيراً من العادات الاجتماعية منها ما يتعلق بمراسم الدفن والعزاء وطقوس المراثي والتعازي، وقد تقدم بعضها في حديثنا عن القدر، ومنها ما يتعلق بالمجتمع الجاهلي من مثل الإلحاح على الأخذ بالثأر والشماتة، فتقول:

حتى تفضوا جمعهم وتذكروا صخرا ومصرعه بلا ثـــأر[136]

إن كان صخرٌ تولى فالشمات بكم وليس يشمت من كانت له طوم[137]

والأصل ألا شماتة فالقبر ينتظر، والحمد لله أن عادة الثأر في اندثار. تقول الخنساء:

وأبكي لصخر إذ ثوى بين الضريحة والصفائح[138]

رَمْساً لدى جَدَثٍ تُذيع بتربه هوجُ النوافح

وقل للذي أضحى به شامتاً انك والموت معا في شعار[139]

هوّن وجدي أن من سره مصرعه لاحقه لا تُمار

فالكل إلى زوال، وكل نفس ذائقة الموت. وتطرقت في ديوانها أيضاً إلى الحديث عن عادات الحرب والسلم:

نعف ونعرف حق القرى ونتخذ الحمد ذخراً وكنزاً[140]

نلبس في الحرب نسج الحديد ونسحب في السلم خزاً وقزا

فقد جرت العادات أنا لدى الوغي سنظفرُ والإنسان يبغى الفوائدا[141]

وغيرها، كما تقدم من عادات تخص الجار، وحق الجوار، والضيف، والأضياف، والوقوف مع اليتيم، والأسير، والفقير، والكسير، والعسير. وكلها في مجملها تُلبسها الخنساء ثوب صخر البطل المقدام والسيد الغمر والفارس والداعي عشيرته ومقيل عثرتها، الليث الهزبر الذي يحمي عريناً دون أشبال؛ لتعاود نفسها بالسؤال: كيف به يصير إلى القبر؟ يا لك يا خنساء من امرأة صلبة، فكلما أخرج بك من جو الرثاء في الديوان تجبرينني على الدخول إليه، فتقولين لي:

ما للمنايا تغادينا وتطرقنا كأننا أبداً نختر بالفأس

تغدوا علينا فتأبى أن تزايلنا للخير، فالخير منا رهن أمراس[142]

وبتوالي المصائب عليها حتى أبت أن تزايلها، أخذت الخير كله معها أخذت معاوية وصخرا وبموتهما أصبح الخير رهناً للقبور، لقد ابتلع القبر الخير والخيرين. إن ديوان الخنساء عموماً ما يزال يحظى بالكثير من العادات الاجتماعية في العصر الجاهلي، وإنما قصر البحث فيه هنا بما يخدم الدراسة، وإلا يمكن للقارئ المهتم العودة إليه وقراءتها. وسنعود الى السؤال الذي طرحناه حول اختلاف مفهوم القبر عند الخنساء بعد إسلامها.. ونحن والخنساء ما زلنا بين مدّ وجذر في الراء الأخيرة/ القبر.

لقد خلق الإسلام في نفس الشاعرة أمناً وأماناً فمتعها بالطمأنينة، فجاء مفهوم القبر عندها بعد إسلامها يحمل دلالة الحقيقة وضرورة الإيمان به وبوجوده وبالقضاء والقدر وأنه مصير محتمٌ لا محالة. طوعاً أو كراهية، فهو أمر مسلَّم به. فتحدثت عن القبر نهاية من نهايات القدر بكل إيمان وثبات وصمت:

مضى وسنمضي على إثره كذاك لكل فتىً مصرع[143]

إنه الموت فالقبر، **(ثمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ)**[144] حتى خفت صوت الجاهلية وارتفع صوت الإحساس بالإسلام وتجلىّ بالاستسلام إنها مؤمنة بأن الله يمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل، والآن وقد مات أخي وحال من دونه بُعُد المزار: **وتذّكرتُ صخراً إذ تغنت حمامةٌ هتوفٌ على غصنٍ من الأيك تسجع**[145]

تُذكرني صخراً وقد حال دونه صفيح وأحجارٌ وبيداءُ بلقع

فليس لي إلا الصبر، إنها لحظة هدوء وسكينة وتقبل للأمر الإلهي للوقائع، فلا جزع ولا تفجّع، ولا ندب ولا عويل، إنه همس الصبر حتى تدعو الله له، فتقول: **سقى الإله ضريحاً جنّ أعظُمَه وروحَه بغزير المزن هطّال**[146]

وتدعو وترجو الله بالرحمة: **رحمة الله والسلام عليه وسقى قبره الربيع خريفا**[147]

لقد اندثرت دلالات القبر، ذاك الذي يبتلع حصاد السنين، ورجالات الخير، وصنّاع التاريخ وقمم الرجال، وجاءت معاني جديدة، منها: أن القبر مرحلة انتقالية وبعده أمل في لقاء جديد إيماناً بقدرهِ مُقدّر المقادير الخالق الخلاّق للكون (الله)، فقد هضمت الخنساء هذه المعاني واستوعبتها وفهمتها جيداً بقلبها وفكرها وتمثلتها خير تمثيل في موقفها حين استشهد أبناؤها الأربعة مرة واحدة، وإلى القبر سيحملون لقد ضربت مثلاً على أقوى مواقف الصبر، فهي مثال الصبر الإنساني الذي لا يتكرر، وصوّرها هذا الموقف امرأة فوق كل الرجال، وأثبت بأنها صحابية جليلة، وصبرها كان جميلاً، وقد اكتفت بأن قالت: (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم). لقد وجدت الخنساء ذاتها في صبرها حين أسلمت، بدلاً من حزنها الذي لاحقها في الجاهلية، ولعله صبر لا يحتمله الرجال **(واصْبِرِ عَلَى ما أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ)**[148].

لقد جاءت ثلاثية الراء تحت غرض الرثاء، وقد صاغته بدمعها ودمها حتى آخر نبضة قلب عندها، (وفي العموم كان شعراء الرثاء يهتمون بقوالب رثائهم وصيغه وينوعونها تنويعاً واسعاً، مع العناية والملاءمة بين أنغامهم وشعور الحزن الذي يتعمق قلوبهم وأفئدتهم)[149]. ويقول الحيني: إن مثل هذا الشعر -شعر الخنساء- لا يصل إليه إلا شاعرٌ كبير، وأن موهبتها الشعرية كانت ترشحها لأن تكون من فحول الشعراء، وأن تقول الشعر في مختلف فنونه)[150]

ولعل الانصاف يبقى حاضراً ونسأل الحيني: من أينَ لها أن تقول في أغراض الشعر الأخرى وقد اقتحمها الزمن وداهمها، زد على ذلك تسارعه عليها!! **فقد فُجعتُ بميمون نقيبتُه جمَّ المخارج ضرَّار ونفَّاع**[151]

فقد ودّعتُ يوم فراق صخرٍ ابي حسان لذّاتي وأنسي[152]

والديوان عندك، لن تجد بيتاً واحداً في الفرح والسرور، وهذا قول بعد دراسة، فمن أين لها الفرح؟؟ والفؤاد يذوب حتى صار كئيباً، لقد أجبرها قدرها أن تبدع في غرض الرثاء، كما أبدع الزمن فيها.

وكل عبرى تبيت الليل ساهرة تبكي بكاء حزين القلب مشتاق[153]

(إن تعاظم الهموم، وازدياد لواعج الأسى كانت تأخذ حيزاً واسعاً من حياة الشاعرة، وقد سدّت عليها طرق السعادة وأغلقت دونها كل باب يمكن أن تجد فيه لذة، وراحة وقد أدركت الخنساء أبعاد هذا الإطار، وأدركت آثارها البعيدة في نفسها، وقد حملها ذلك على إيجاد الصيغة الوجدانية التي تستطيع أن تحقق لها مطامح التعبير والاقتدار، فكان الشعر وسيلتها ومجالها في تفريج الهم)[154] حتى قالت:

فقد أصبحت بعد فتى سُليم أفرّج هَمَّ صدري بالقَريض[155]

أسائل كل والهة هبول براها الدهر كالعظم المهيض

قال بشار فيها: لم تقل امرأة قط شعراً لا تبين الضعف منه. فقيل: أو كذلك الخنساء؟ قال: تلك فوق الرجال.[156]

وبذلك تنتهي ثلاثية الراء في شعر الخنساء، وفي معظم ما قرأته عنها ودرسته حولها في ديوانها وغيره ممن تكلم عنها ما وجدتها قد خرجت عن الدهر المحيط بها، واقفة أمامه تتلقى الضربات وكأنها في معركة وليس في وسعها

سوى الاستسلام، وهذا هو القدر المكتوب عليها نائبة تلو أخرى، حتى أوقفتها نوائب الدهر وأقدارها على القبر الذي بكت عنده ثلاثين سنة **(ولا تصلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)**[157].

فلم ترحم الخنساء نفسها، واستبسلت في حزنها حتى كان الثمن عينيها فلم تُبق دموعاً بعد صخر، وقد بكته بدمع هموله. **فلا تخذليني عند جدّ البكا فليس ذا يا عين وقت الخذول**[158]

لقد فرضت نفسها على التاريخ الأدبي (وتبقى الشاعرة المقدمة على شواعر العرب جميعاً، سواء منهن من سبقّها، أو مَنْ جئن بعدها إلى يوم الناس هذا)[159] ، وقد قالها من قبله البغدادي في خزانته: واتفق أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها.[160] فبعد كل ما وصلنا إليه من موقف الخنساء من الدهر، وما لمسناه من ملامح نفسية ودينية جديدة جعلتها تتجاوز المفاهيم الموروثة قديماً حول القدر وتصل إلى الإيمان به والاستسلام له، لتدرك يقيناً معنى القبر، فإننا نجد أننا كنا في علاقة ثلاثية لا تنفصل بين (الدهر والقدر والقبر)، وهي علاقات نسج وبناء شعري قامت به الشاعرة بتحرك أفقي تعتمد فيه على التجاور الزمني بين الوحدات الثلاث، فكانت هذه الثلاثية في بداياتها أفقية تنافرية بدافع حالة الخنساء النفسية وكانت النظرة الشاملة للدهر هي نفسها للقدر التي تنعكس من ثم على نظرتها للقبر، لكنها في لحظة معينة بتغيّر حالة الشاعرة الفكرية والقلبية والنفسية تغيّرت علاقات النسج والبناء الشعري، فأصبحت الثلاثية تآلفية، دهر آمنت به وبقوته وحقيقته فلا تبقى له باقية، فأنطقها الحكمة. وقدر آمنت به واستسلمت لقضاء الله الذي سيلاقيه كلُ حيّ، وكأن في الحق أن يعود لنا الموت، فانطقها (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم) وجعلها صحابية جليلة، فلا خير في العيش وإن سرّنا، وهذه حقيقة الأقدار التي تنهي بالمرء إلى القبر فيصبح فيه ثاويا، والقبر أنطقها الحق، وثبّت مفاهيمها ونظم أفكارها. فبتغير التجربة الشعورية تآلفت الثلاثية لأن (التجربة الشعورية تفجير لإمكانات اللغة، وبحث في ركامها عن أنساق فنيّة يحاكي بها الشاعر حركة التماس بين عوالمه الداخلية وبين الواقع الخارجي)[161].

وبقيت الخنساء ذات التركيبة العقلية والنفسية النادرة أبداً في لوعة وازدياد، تتمثل أخاها وتخاطبه وتصوره بحب أخوي صادق وتبكي ولا تمل حتى بعد إسلامها[162]. ولا شك في أن قراءة ديوان الخنساء تترك ثقلاُ وجدانياً على المتلقي لا سيما إذا قصر قراءته على مضمون الرثاء وحده، (إذ ليس كلام العاطفة فلسفة وليس تحليلاً، وإنما هو صرخة أو زفرة أو اختلاج)[163] وهذه أمور لها انعكاساتها وقد جاء في جليس الأدباء، أن قيل (للعرب في الرثاء اليد الطولى..... وقد برز بينهم امرأة طار ذكرها في أواخر الجاهلية وغرّة الإسلام حتى صار مجرد اسمها عند العرب مثلاً يضرب في مناحة الأقوام، وبكاء الإخوان الكرام، يعني بها تماضر بنت عمرو المشهورة بالخنساء)[164].

لكن في الحقيقة ديوان الخنساء مليء بمعلومات قيمة ومتنوعة جاء بأكثر وأدق مما جاء به المؤرخون والعلماء ورجالات الدين أهل دراسة العصور. لقد قدم غير غرض الرثاء معارف دقيقة جديدة عن عادات المجتمع الجاهلي وعن أشياء كثيرة تبرز جغرافية المكان وتاريخه بكل أبعاده وحذافيره. لقد وقف الديوان على تفاصيل كثيرة، هي من مكونات المجتمع الجاهلي الاجتماعية، والثقافية، والدينية والسياسية والنفسية، ولعله يصلح أن يكون معجم مصطلحات للعصر نفسه أيضاً، (هذا ديوانها الذي تاقت إليه نفوس الشعراء، وارتفعت به رؤوس النساء)[165].

ويمكن أن يقال –أيضاً- إنه قصة حياة بدأت من منتصفها، أخذت ترويها الشاعرة الخنساء بتتابع أحداثها التي تدور حول بطل واحد (صخر)، وهو محور الرواية، ومحركها والشخصية القدوة، الشخصية النامية التي تسهم في بناء الأحداث وتصعيدها. ومنذ بداية الرواية حتى نهايتها كان صخرٌ بين الكلمات والشطور، والديوان (يروي لنا قصة الفجيعة الإنسانية كأصدق ما تكون الرواية لكل العصور وجميع الناس)[166] وليس من زاوية تنظر إليها في الديوان علّك ترى الجديد في غير ما ألفته من غرض الرثاء فلا تجد نفسك إلا وتعود إلى أجواء الحزن والبكاء والرثاء، ولطالما هذه هي النتيجة فيحسن بنا أن نسخّر هذا الغرض ليمسح غبار النظرة الجاهلية عن المجتمع قديماً ونتجاوز الندبة والعويل

وننظر إلى الصورة المشرقة في ديوان الخنساء من خلال ثلاثيتها (الدهر/ القدر/ القبر) على أنها صورة معقولة ومنطقية أولها، صورة التكافل الاجتماعي.

فتى كان فينا لم يرَ الناس مثله كفالاً لأم أو وكيلا لمحرم[167]

مأوى الأرامل والأيتام أن سغبوا شهّاد أنجية مِطعام ضيفان[168]

إنه مجتمع يعرف معنى المعروف فيبذل فيه نفسه ويعرف معنى المنكر فينكره.

إنها العادات الاجتماعية وقد جاءت على أوسع نطاق فبالرغم مما صورته الخنساء تصويراً حرفياً لمراسم العزاء وعاداته البالية في ذاك الزمان غير عادة الأخذ بالثأر والتحريض عليه، وطقوس الموت والدفن إلا أنها أيضاً جاءت بمعانٍ مشرقة في الديوان تؤكد حضارة المجتمع الجاهلي بعاداته وتقاليده في الاتجاه الآخر الذي يدعو إلى الحياة بروح الفريق والجماعة، والمجتمع الجاهلي ليس سيئاً، إنه ينطوي على أسس تكافلية عالية، ويدرك معنى الروابط الاجتماعية فيعرف ماله وما عليه. ويكفي مما وصلنا إليه نفي تهمة التأخر والرجعية عن العصر الجاهلي؛ ليكون في مصاف العصور المتقدمة الأخرى اجتماعياً على أقل تقدير. إن ديوان الخنساء أقرب الدواوين إلى الروح الإنسانية وليس من المعقول أبداً أن ندرسه قاصرين النظر على غرض الرثاء وحده، إنه منجم للقيم الإنسانية العالية وأولها حب الخنساء، لأخيها صخر. يقول جرجي زيدان: (الشعر لا ينمو ويزهر إلا في ظل العزّ والارتقاء ويندر بزوغ الشعراء البلغاء في أمة ذليلة، فظهر في الجاهلية عدة شواعر، منها: الخنساء)[169] التي أنصفت مجتمعها مما نسب إليه.

إن الثلاثية المفصلية التي استوقفتني لدراسة دلالاتها عندها جعلتني أرى ديوانا جديدا وخنساء جديدة، كما جعلتني على يقين مطلق بأن الخنساء صحابية جليلة، بعد سقتني الخنساء الكبر مع كل بيت قرأته ودرسته، رحم الله الخنساء[170].

الخاتمة: أود أن أسجل النتائج الخاصة الآتية:

1. **ثلاثية (الدهر والقدر والقبر)** بيّنت أن الخنساء بإسلامها ضربت مثالاً في التكوين الفكري الجديد الذي يمحو عنها ملامح الجاهلية ويوسمها بالصحابية الجليلة. وقد كانت الثلاثة عليها مؤصدة في الجاهلية، وكانت حقيقة في الإسلام اعتقدتها فاعتنقتها وجعلتها خنساء المؤمنة.
2. **الثلاثية** غيّرت مفهوم الرثاء عند الخنساء من خلال تقبّلها لقوة الدهر وحقيقته وإيمانها المطلق بالقضاء والقدر ويقينها بالقبر وإدراكها أجر الشهادة ومكانة الشهيد في آخر زمانها.
3. **الثلاثية** أنطقت الخنساء الحكمة، وقالت حقائق من خلال نظرتها إلى الدهر خاصة، وبيّنت بيئة الخنساء ومنطقها وتفكيرها، ووصفتها على أنها على مستوى نادر من الشجاعة، وتطور الذات.
4. **الثلاثية** جعلت الخنساء تلتقط مشاهد من مجالس العزاء ومراسم الدفن، وصورت قضايا الثأر وسجلت حواراته، وقالت عن أيام العرب وحروبها وقدمتها وصفاً حياً بلغة تحمل الواقع بكل تفاصيله، وكأنك تعيشه.
5. أعطت **الثلاثية** في ديوانها مساحة واسعة لطبيعة المجتمع الجاهلي، وصورته مجتمعاً متماسكاً يحتفظ بقيم إنسانية تسهم في تميزه، ونفت عنه بعضاً من مظاهر التأخر المنسوبة اليه.
6. **الثلاثية** أنصفت شخصية الإنسان في الجاهلية وجعلته يعفو ويحمي ويغضّ الطرف ويدافع ويحمي ويقرّى الضيف والنزّل، ويراعي الأمانة وغير خوان، إنه ديوان الصفات العربية.
7. **الثلاثية** بينت بيئة ومنطق وتفكير الخنساء. وجعلت الديوان يحكي قصة صبر.
8. **الثلاثية** بينت أن المقدمة عند الخنساء خاصة، ولها نمطية بكاء وعويل غير ما جاء به من مقدمات طللية في الشعر الجاهلي.
9. **الثلاثية** جعلت الغرض الشعري عند الخنساء غرضين في وقت واحد، فقد جمعت الرثاء والمديح وهذا أيضاً غير

ما جاء في الشعر الجاهلي.

10. **ثلاثية** بينت أن الديوان يخلو من المعاني الآتي: الفرح والسرور، الحساب والعذاب والقيامة والآخرة، الأنوثة والأمومة، مدح أبنائها أو حتى رثائهم، ذكرى جميلة مرت بها الخنساء أو عاشتها.

نتائج عامة

1. شمولية الرثاء في الديوان فرضت نفسها على الدراسة، وهذه عقبة ستواجه الباحثين من بعد.
2. بينت الخنساء نفسها في ديوانها وأبرزتها أكثر من صخر؛ فقد تميزت بقدرة التأثير، وهذا يعني مدى إسقاطها حالتها على المتلقي، وتميزت بالإيحاء، وهذا يعني امتدادها في زمانها وإلى الآن، بدليل دراستها، وتميزت بالإضافة، وهذه تعني حزناً لم يسمع بمثله.
3. ديوان الخنساء مدرسة في الرثاء بكل تفاصيله صنعته الخنساء، وجعلته وطناً لها فاح عبيره في حياتها ومماتها، وهذا صداه فقد صور واقع الخنساء (الوجع والحسرة) الذي ما يزال أكبر من فنها.
4. التنبه عند البحث والدرس من ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ط1، نشر دار العلم للملايين، بيروت 1405ه–1985 م لقافيه الدال، إذ اقتصر الديوان على قصيدتين فقط دون مجموع قصائد قافية الدال الأخرى، علماً أنها قد وردت في جميع الدواوين من نسخ أخرى- علّها تكون قد سقطت عند الطبع.
5. ديوان الخنساء موسوعة اجتماعية، ومعجم لغوي للعصر الجاهلي.
6. إعادة ترتيب أبيات الديوان من جديد، حسب المنهج التاريخي لحياة الخنساء.

---

1 تاريخ الأدب العربي: عمر فروج، دار العلم للملايين، ج1، ص318.

2 ديوان الخنساء: دار الأندلس، ط6 طبعة جديدة، بيروت، 1389 هـ - 1969 م، ص5.

3 تزوجت الخنساء بعد طلاقها بمرداس بن أبي عامر السلمي، وأنجبت له ثلاثة من البنين وعميرة، وكان أبوها سيداً من سادة قومه، ذا نفوذ واسع وثروة طائلة. قتل معاوية يوم حوزة الأول، ويوم حوزة الثاني حيث ثأر له أخوها صخر، ويوم ذات الأثل حيث أصيب صخر إصابة أدت إلى موته، نحو سنة 615م تقديراً. وذات الأثل: اسم مكان اقتتل فيه صخر مع بني أسد وسبي نساءهم.

انظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة، طبع في مدينة ليْدن المحروسة، مطبعة بريل، 1902م، ص199.

- في رحاب الخنساء: فتحي الكواملة، ط1، دار الجبل، دمشق، 1988، ص60.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب:عبد القادر عمر البغدادي: تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م، ج1، ص434. يقول: (وهي صحابية، رضي الله عنها، قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم).

4 الخنساء سيرة تاريخية أدبية: محمد كرزون، دار المعارف، حمص، 1999، ص122.

* القادسية معركة كانت باب العراق سنة (15 هـ/636م) أو (638م) قائدها سعد بن أبي وقاص، انتهت بانتصار المسلمين. انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي: حسن إبراهيم حسن، ط14، دار الجيل، بيروت، 1416 هـ - 1996 م، ج1، ص179.

5 ديوان الخنساء: دار الاندلس، ص48.

6 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص78.

7 نفسه: ص67.

8 نفسه: ص22.

9 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص59.

10 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص59.

11 نفسه: ص80. * الخنشليل: الجيد، الضرب بالسيف.

* ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص99.

13 بنائية اللغة الشعرية عند الخنساء: سميحة عمر (الحاج عبد) الشمايلة، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، 2006م، ص39.

14 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص78.

15 ديوان الباكيتين الخنساء، ليلى الأخيلية: شرح د.يوسف عيد، ط1، دار الجيل، بيـروت، 1413هـ - 1992م، ص119/ العضوض: المؤلم، الشديد.

16 ديوان الخنساء: تحقيق عبد السلام الحوفي، ص53.

17 اقتطاف الزهر واجتناء الثمر: ابن بري الربطي النازي (731 هـ): ، تحقيق مصـطفى حجـازي، ط1، 1433هـ - 2012م، ص444.

18 الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص229/ نيار: من نير الثوب أي جعل له نيراً خلاف أسداه.

19 ديوان الباكيتين: ص126.

20 آية 24 من سورة الجاثية.

21 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق: عبد السلام الحوفي، ص89.

22 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص39.

23 ديوان الباكيتين، شرح د. يوسف عيد، ص130/ المؤتلف: المجتمع، التجليف: من جلفته السنون: ذهبت بأموالـه، أمحلـت، أجدبت.

24 ديوان الباكيتين: ص195.

25 الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء، ص256- الهام : ج هامة وهي الجثة، هذه الأبيات جعلت جرير يفضل الخنساء عليها.

26 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص78.

27 نفسه: ص46

28 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، : 74.

29 آية 52 من سورة إبراهيم.

30ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي ، ص39.

31 آية 28 من سورة المدثر.

32 الخنساء ظاهرة فنية جديدة في الشعر العربي: نوري حمودي القيسي، مجلة آداب المستنصرية الجامعة المستنصرية، كليـة الآداب، السنة الأولى، 51396-1976م، ص 235.

33 الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص260.

34 ديوان الخنساء: شرح و تحقيق عبد السلام الحوفي، ص42.

35 ديوان الباكيتين: ص138، ص139 / الأوراق: الفضة ويروى من قال له واق.

36 ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص5.

37 في رحاب الخنساء: ص49. ولدت الخنساء في البادية بنجد، بعد عام الفيل بخمس سنوات.

38الأعلام: خير الدين الزركلي (ت 1369هـ) ط15، بيروت، دار العلم للملايين، آيار، 2002م، ج2، ص86.

39 الخنساء سيرة تاريخية أدبية: ص125. (*) أية 29 من سورة الأنعام.

40 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص53.

41نفسه: ص49، وانظر ديوان الباكيتين: ص88.

42ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص105، وأنظر الاعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص266.

43نفسه: ص40، وأنظر ديوان الباكيتين: ص52/ لو بقيت أي لو ام تمت.

44ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص50.

45 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص99.

46 ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص79.

47 آية 38 من سورة الأحزاب.

48 ديوان الخنساء، شرح وتحقيق الحوفي، ص70.

49 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص 53.

50نفسه: ص54.

51 لم أجد البيت في قافية الدال في ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبد السلام الخوفي، ط1،دار الكتب للملايين، بيروت-لبنان،1405هـ-1985م. لقد اقتصر الحوفي على قصيدتين فقط في قافية الدال.

هما: الأولى مطلعها: أعينيَّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى ص 35

والثانية مطلعها: بكت عيني وعادت والسهودا وبتُّ الليل جانحةً عميدا ص 36

*ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص40.

52 ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص48، انظر ديوان الباكيتين: ص 52.

53 شرح العقيدة الطحوية: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1414 هـ، ،ص153.

54 الأعلام: خير الدين الزركلي، ج3، ص 201. وانظر: نفسه، ج 2، ص 86،

وأنظر: الخيري ابن الخاتمة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين،دار الجيل،2005م،ص517،ص518.

55 ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص 146، وانظر ديوان الباكيتين: ص 190، ص 191.

56 ديوان الخنساء، تحقيق الخوفي، ص99.

57 في رحاب الخنساء: ص127.

58 ديوان الباكيتين: ص54. لا ترمى بفاحشة: لا ترمى بذلة أو عيب ونقيصه.

59 ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص89.

60 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص 69، الربيع المليك.

61 ديوان الباكيتين: ص5، إذ لم أجد البيت في قافية الدال في نسخة الحوفي، وانظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص 220، ص 221.

62 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص83، قيل إنها قصيدة في أخيها صخر لما دفن في أرض بني سليم عند جبل عسيب إلى جنب المدينة.

63 نفسه: ص85/"إذا زلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، الآية 1، 2 من سورة الزلزلة. وقد سميت (بنصف القرآن).

64 نفسه: ص94/ النكس الضعيف. والواني الفاتر. وقد جاء في التنزيل "لا تنيا عن ذكرى" أي لا تفترا.

65 ديوان الباكيتين: ص54 / حريباً: سليباً من سلب ماله.

66 آية 11 من سورة المؤمنون.

67 آية 124 من سورة النساء.

68 آية 38 من سورة المعارج. (*) إنها قضية تحتاج إلى دراسة وتحقيق والقول الفصل فيها (الله) يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء.

69 ديوان الباكيتين، ص45، وقد قيل إنها قالت هذه القصيدة تحرض فيها بني سليم على غطفان بعد قتلهم معاوية لتأخذ بالثأر، ولست مع هؤلاء في القول، فقد يكون قد حصل اضطراباً عند توثيق أبياتها تاريخيا.

70 آية 4 من سورة الزمر.

71 الخنساء سيرة تاريخية وأدبية: ص153

* انها قضية تحتاج إلى مراجعة ودراسة وتحقق.

72 آية 140 من سورة آل عمران.
73 آية 169 من سورة آل عمران.
74آية 35 من سورة فصلت.
75 آية 35 من سورة فصلت.
76 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص 93
77 تاريخ الأدب العربي: حنا الفاخوري، المطبعة البوليسية، ص 188.
78 الخنساء: عائشة بنت الشاطئ، دار المعارف، 1999م، ص 50، ص 51
79 الخنساء: شاعرة من بني سُليم: محمد جابر عبدالعال الحيني، الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1963م، ص 224
80 (مرثاة الخنساء الخالدة) الموت والثأر والخلود، أنور أبو سويلم، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، مج 4، ع 1، 1986م، ص 8.
81 الخنساء بنت عمرو شاعرة الرثاء في العصر الجاهلي: علي عطوي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص69 .
82 الخنساء ظاهرة فنية جديدة في الشعر العربي، نوري حمودي القيسي، مجلة آداب المستنصرية، ص229
83 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص 82
84 نفسه: ص78، انظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص 276.
85 نفسه: ص 74، انظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص 271.
86 نفسه: ص 67، انظر ديوان الباكيتين: ص 127.
87 نفسه: ص31، انظر ديوان الباكيتين: ص 34، ص 35.
88 الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء، ص237، انظر ديوان الباكيتين: ص84. والبيت الأخير ليس مثبتاً في ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي.
89 التعازي والمراثي: محمد بن يزيد المبرد، ت 286 هـ، تحقيق محمد الديباجي، دمشق، مطبعة زيد بن ثابت، 1396هـ - 1976م، ص 28.
90 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص78.
91 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص100.
92 نفسه: ص99.
93 أروع ما قيل في الرثاء، إميل ناصيف، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 1992م، ص13.
94 شرح ديوان الخنساء: منشورات دار مكتبة الحياة، ص8.
95 الخنساء شاعرة الرثاء: يحيى الشامي، ط 1، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999م، ص31.
96 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص82، وانظر ديوان الباكيتين ص 156.
97- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261 هـ)، دار الجبل، بيروت، ج1، حديث رقم 139، ص58.
98مختصر صحيح الامام البخاري: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (1420 هـ)، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، 2002م، ج1، ص378.
99الشعر النسائي في أدبنا العربي: مي يوسف خليف، مكتبه غريب، شاع كامل صدقي ، الفجالة ، ص98
100ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص72.
101 ديوان الباكيتين: شرح يوسف عيد، ص115.
102 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص84.
103 ديوان الخنساء: تحقيق عبد السلام الحوفي، ص39.

104 آية 7 من سورة الحج.
105 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق، عبد السلام الحوفي، ص49.
106 نفسه، ص53.
107أنور أبو سويلم: مرثاة للخنساء الإسلامية، ص9.
108 ديوان الباكيتين: ص184، انظر الحاشية: فيه ملمح لعادة جاهلية تلح على الأخذ بالثأر.
109الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص212، الرمس: القبر وما يحثى للميت من التراب وأصله الدفن؛ انظر أساس البلاغة: الزمخشري، 1979م، ص 252.
110 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص46.
111 آية 5 سورة الحج.
112 ديوان الخنساء: دار الاندلس، ص45، انظر البيت في ديوان الباكيتين ص55.
113 ديوان الباكيتين: ص91.
114 ديوان الباكيتين: ص90.
115 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص42.
116 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص25، انظر: ديوان الباكيتين: ص19.
117 ديوان الباكيتين: ص52/ ثمال قومي: مغيثهم
118 الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء، ص20.
119 نفسه، ص301، انظر: ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص99.
120 ديوان الخنساء: تحقيق عبدالسلام الحوفي، ص89.
121 نفسه: ص42، انظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص231.
122ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص96
123نفسه: ص42، انظر ديوان الباكيتين: ص72.
124 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص62
125 نفسه ص62
126 التوازي العروضي مراثي الخنساء أنموذجاً: خلف خازر ملحم الخريشة، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج3، عــدد 1، 2007م، ص191.
127ديوان الخنساء: شرح وتحقيق الحوفي، ص78
128نفسه: ص94
129نفسه: ص69
130نفسه: ص50
131العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبوعلي الحسن ابن رشيق القيرواني، (ت: 456هــ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميــد، ط5، دار الجيل، بيروت، ج2، ص76
132النقد الأدبي الحديث: محمد غنيمي هلال: دار النهضة، القاهرة، د،ت، ص387
133 قراءات أسلوبية في الشعر الجاهلي: موسى ربابعة، اربد، مكتبة الكناني2001م،ص33
134 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق الحوفي، ص89/ الرمس: تقدم معناه، انظر ديوان الباكيتين: ص169.
135 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص21، وانظر: ديوان الباكيتين: ص56، وانظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص221.
136 نفسه، ص45
137 ديوان الخنساء: دار الأندلس، ص132، الطوم: الضريح أو الميتة، انظر ديوان الخنساء، شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي،

ص89.

138 الحجارة التي توضع فوق القبو وهي عريضة النوافح: من النفح وهي الرياح الشديدة. ديوان الباكتين: ص207.

139 الاعمال الكاملة من ديوان الخنساء، ص243

140 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص60

141 الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص215.

142ديوان الباكتين: ص112، انظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: ص253.

143 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص66

144 الآية (21) من سورة عبس. وقد جاء ذكر القبر والقبور والمقابر في ثمانية مواضع في القران الكريم مع الفعل أقبر.

145 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص 68

146نفسه:ص78/ جنَّ: بمعنى ستر

147 نفسه، ص69. الربيع: المليك.

148 أية (17) من سورة لقمان.

149الرثاء: شوقي ضيف، دار المعرف، القاهرة، ط3، ص8

150 الخنساء شاعرة بني سليم: الحنيني، ص224

151ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص68.

152ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص62

153ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبد السلام الحوفي، ص74.

154 الخنساء ظاهرة فنية جديدة في الشعر العربي: نوري حمودي القيسي: ص235

155ديوان الخنساء: تحقيق وشرح عبد السلام الحوفي، ص65، انظر الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء، ص257، الهبول: الثكلى. المهيض: الكسير.

156شعر الخنساء: كرم البستاني: دار ميسرة، ط2، بيروت1983م،ص6

157 الآية (84) من سورة التوبة.

158الأعمال الكاملة من ديوان الخنساء: اعداد سمر إبراهيم، ص277.

الخنساء مرآة عصرها: إسماعيل القاضي، مطبعة المعارف بغداد، 1962م، ص90. 159

160 خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة،1979م،**، ص34،

161 التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية: عدنان حسين قاسم، ط2، الدار العربية للنشر والتوزيع، ص33.

162 أروع ما قيل في الرثاء،: أميل ناصف، ص13.

163 ديوان الباكتين: ص8.

164 أنيس الجلساء في ديوان الخنساء: المطبعة الكاثوليكية، للآباء اليسوعيين، بيروت، 1888م، المقدمة.

165 نفسه: المقدمة.

166 شرح ديوان الخنساء: منشورات مكتبية الحياة، بيروت، ص9.

167 ديوان الخنساء: شرح وتحقيق عبدالسلام الحوفي، ص92.

168 نفسيه: ص94.

169 تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، مكتبة الحياة، بيروت، 1983م، ج1، ص144.

170 توفيت الخنساء في البادية في خلافة معاوية ابن أبي سفيان. انظر: بطرس البستاني: دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، مجلد7، ص485، ص486